المبحث الثاني
اعتراض النصارى على نبوة سيدنا محمد ﷺ ورد القرافي عليهم

لا يؤمن النصارى بنبوة سيدنا محمد ﷺ، ولذلك يثيرون الشبه ضدها من حين لآخر، والنصارى في إثارة الشبه ضد نبوة خير الخلق محمد ﷺ لهم طريقتان:

الطريقة الأولى: أنهم يطعنون في نبوته ﷺ من أصلها، ومن شبههم في هذا الفصل، قولهم: إن محمدًا ﷺ ما جاء بمعجزة حتى تثبت نبوته، مستدلين بقول الله تعالى: ﴿ وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرۡسِلَ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلۡأَوَّلُونَۚ ﴾ [الإسراء: ٥٩][1] وقولهم: إنه ﷺ كان شاكًا في دينه فكيف يسوغ اتباعه، وغير ذلك من الشبه[2].

والطريقة الثانية: هي طعنهم في عموم رسالته ﷺ، وكأنهم لما أعياهم السير في الطريقة الأولى، لجاءوا إلى الطريقة الثانية علهم أن يجدوا متنفسًا لما يضمرونه من الحقد والحسد ضد النبي ﷺ وضد رسالته.

وقد ذكر الإمام القرافي بعض شبه النصارى ضد نبوته ﷺ وأجاب عنها، نذكرها في السطور الآتية:

الشبهة الأولى: زعم النصارى أن محمدًا ﷺ كان شاكًا في أمره.

---

(1) تراجع الشبهة والجواب عنها في: إظهار الحق: (٢/ ٣١٨) وما بعدها، المخرس في الرد على القس المفلس زكريا بطرس: (ص٦٨) وما بعدها.

(2) يراجع ذلك في كتاب: شبهات المعترضين ومفترياتهم حول صدق نبوة محمد ﷺ لماهر عبد الوهاب محمد حجاج، الجزء الأول، مطبعة الاتحاد الأخوي بمصر، طبعة: ١٩٩٨م.

يقول النصارى: القرآن الكريم أخبر بأنا نؤمن بعيسى عليه السلام بقوله: ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ﴾ [النساء: ١٥٩] فكيف نتبع من أخبر الله تعالى عنه أنه شاك في أمره بقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [سبأ: ٢٤] وأمره في سورة الفاتحة أن يسأل الهداية في قوله تعالى: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ [الفاتحة: ٦، ٧]؟ يقول النصارى: والمنعم عليهم هم النصارى، والمغضوب عليهم هم اليهود، والضالون عبدة الأصنام(١).

رد الإمام القرافي على هذه الشبهة:

بين الإمام القرافي أن النصارى لما حرفوا وبدلوا في كتبهم، ظنوا سهولة ذلك في القرآن الكريم، ولكن لا يقبل القول في القرآن الكريم إلا بدليل، فأين دليل النصارى على ما ذكروه؟ وذلك قوله: [النصارى لما لعبوا في كتابهم بالتحريف والتخليط، صار ذلك لهم سجية، فسهل عليهم تحريف القرآن(٢)، وتغيير معانيه لأغراضهم الفاسدة .. وكيف يخطر لهم هذه التحكمات بغير دليل ولا برهان، بل بمجرد الأوهام والوساوس؟](٣).

ثم رد الإمام القرافي الاستدلال بالآية الأولى على أن النصارى على الحق مبينًا أن في الآية تفسيرين، كلاهما لا يخدم النصارى.

---

(1) ينظر: الأجوبة الفاخرة: (ص٣١).

(2) المقصود بالتحريف في كلام الإمام القرافي هو: تحريف معاني القرآن الكريم، وحمله الآيات على غير معانيها، أما تحريف ألفاظ القرآن الكريم، فهذا لا يستطيعه أحد؛ لحفظ الله تعالى القرآن من ذلك قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩].

(3) ينظر: الأجوبة الفاخرة: (ص٣١).

التفسير الأول:

أن يكون الضمير في (به) عائدًا على عيسى عليه السلام، والضمير في (موته) عائدًا على اليهودي، أو النصراني المحتضر، والمعنى: أن كل يهودي أو نصراني يحتضر يرى ملائكة الله تعالى تنكر عليه ما كان يقوله في عيسى، فيؤمن أن عيسى عبد الله ورسوله، ولكن لا ينفعه إيمانه؛ حيث إنه سلب الاختيار، وذلك قول الإمام القرافي: (إن كل كافر إذا عاين الملائكة عند قبض روحه ساعة الموت، ظهر له منهم الإنكار عليه، بسبب ما كان عليه من الكفر، فيقطع حينئذ بفساد ما كان عليه، ويؤمن بالحق على ما هو عليه.. لكنه إيمان لا ينفع، ولا يعتد به، وإنما يقبل الإيمان من العبد حيث يكون متمكنًا من الكفر، فإذا عدل عنه، وآمن بالحق كان إيمانه من كسبه وسعيه فيؤجر عليه، وأما إذا اضطر إليه فليس فيه أجر، فما من أحد من أهل الكتاب إلا يؤمن بنبوة عيسى عليه السلام، وعبوديته لله تعالى قبل موته، لكن قهرًا لا ينفعه في الخلوص من النيران وغضب الديان)[1].

والتفسير الثاني:

أن الضمير في (به) و(موته) راجع إلى عيسى عليه السلام، وذلك عند نزوله في آخر الزمان، يقتل الخنزير، ويكسر الصليب، ويضع الجزية، ويعلن عبوديته لله تعالى فيؤمن أهل الكتاب وقتئذ بذلك فالمقصود بأهل الكتاب هم الذين في زمن عيسى عليه السلام، لا الموجودون في زمن القرافي، والآن، وذلك قول الإمام القرافي: (إن عيسى عليه السلام ينزل في آخر الزمان عند ظهور المهدي، وبعد أن

(1) الأجوبة الفاخرة: (ص٣١).

يفتح المسلمون القسطنطينية من الفرنج[(١)] فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير[(٢)]، ولا يبق على الأرض إلا المسلمون، ويستأصل اليهود بالقتل، ويصرح بأنه عبد الله ونبيه، فتضطر النصارى إلى تصديقه حينئذ، لإخباره لهم بذلك)

يقول القرافي: (وعلى التفسيرين ليس فيه -نص القرآن الكريم- دلالة على أن النصارى الآن على خير)[(٣)].

أما استدلال النصارى بقول الله تعالى: ﴿ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [سبأ: ٢٤] على أنه ﷺ كان شاكًا في أمره: فقد أجاب عنه الإمام القرافي بأن رسول الله ﷺ لم يكن شاكًا -كما يقولون- بل كان على يقين أنه على الهدى، وإنما أمره الله تعالى يقول ذلك، من باب التلطف في الخطاب حتى لا ينفر

---

(1) فتح المسلمون القسطنطينية كان في يوم الثلاثاء الموافق (٢٠) من جمادى الأولى ٨٥٧هـ، ٢٩ مايو ١٤٣٥م على يد السلطان العثماني محمد الفاتح، يراجع: فتح القسطنطينية في: الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط: علي محمد الصلابي: (ص١١٠) وما بعدها، دار الفجر، القاهرة، ط/ ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

ولكن هذا الفتح ليس هو الذي يقصده الإمام القرافي، لكن الفتح المقصود يكون في آخر الزمان، ويعقبه ظهور العلامات الكبرى للساعة، أخرج الإمام مسلم عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى ينزل الروم بالأعماق أو بدابق، فيخرج إليهم جيش من المدينة من خيار أهل الأرض فيفتحون قسطنطينية، فبينما هم يقتسمون الغنائم قد علقوا سيوفهم بالزيتون، إذ صاح فيهم الشيطان أن المسيح قد خلفكم في أهليكم ...» الحديث، صحيح مسلم: ك الفتن وأشراط الساعة، باب: فتح قسطنطينية، حديث رقم (٢٨٩٧) (٤/ ٢٢٢١).

(2) حديث نزول عيسى عليه السلام وقَتْلِه الخنزير وكسره الصليب، أخرجه البخاري ك: البيوع، باب قتل الخنزير، حديث رقم (٢١٠٩) (٢/ ٧٧٤). وأخرجه مسلم: ك: الإيمان، باب: وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ إلى جميع الناس ونسخ الملل بملة الإسلام، حديث رقم (١٥٥) (١/ ١٣٥) عن أبي هريرة.

(3) الأجوبة الفاخرة: (ص٣١، ٣٢).

المشركون منه لو قال لهم: أنتم في ضلال مبين، وحتى يتفكروا في حقيقة الأمر، فإذا فعلوا ذلك علموا أنهم على ضلال، فلعلهم يثوبون إلى رشدهم، وهذا هو المقصد من لزوم هذه الطريقة، وذلك قول القرافي: (وأما قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴾ [سبأ: ٢٤] فهو من محاسن القرآن الكريم؛ لأنه من تلطف الخطاب، وحسن الإرشاد، فإنك إذا قلت لغيرك: أنت كافر فآمن ربما أدركته الأنفة، فاشتد إعراضه عن الحق، فإذا قلت له: أحدنا كافر، فينبغي أن يسعى في خلاص نفسه من عذاب الله تعالى، فهلم بنا نبحث عن الكافر منا، فنخلصه، فإن ذلك أوفر لداعيته في الرجوع إلى الحق، والفحص عن الصواب، فإذا نظر فوجد نفسه هو الكافر، فر من الكفر من غير منافرة منك عنده، ويفرح بإسلامه، ويسر منك بالنصيحة، هكذا في الآية سهلت الخطاب على الكفار؛ ليكون ذلك أقرب لهدايتهم)[1].

وأما استدلال النصارى بآيتي الفاتحة على أنه ﷺ لم يكن مهتديًا، ولذلك أمر أن يطلب الهداية إلى طريق المنعم عليهم وهم النصارى، فقد رده الإمام القرافي بأن طلب الهداية ليس في الحال، وإنما هو في المستقبل من العمر، وطلب الهداية في المستقبل لا يُنكَر، كما أنه لا يعني أن الطالب غير مهتد في وقت طلبه، وقد اعتمد القرافي في هذا الرد على دلالة الدعاء اللغوية على الاستقبال.

كما رد قولهم إنهم هم المنعم عليهم المقصودون في الآية، بأن هذا خلاف ما جاء عن علماء المسلمين الذين هم المقبول قولهم في هذا الشأن لا من سواهم، وذلك قوله: [وأما أمره تعالى لمحمد ﷺ ولأمته بالدعاء بالهداية إلى الصراط المستقيم، فلا يدل على عدم حصول الهداية في الحال؛ لأن القاعدة اللغوية: أن

(1) الأجوبة الفاخرة: (ص٣٢).

الأمر والنهي والدعاء والوعد والوعيد والشرط وجزاءه إنما يتعلق بالمستقبل من الزمان دون الماضي والحاضر؛ لأن ما عداه قد تعين وقوعه أو عدم وقوعه، فلا معنى لطلبه، والإنسان باعتبار المستقبل، لا يدري ماذا قضى عليه، فيسأل الله العظيم في المستقبل ليأمن من سوء الخاتمة، كما أن النصراني إذا قال اللهم أمتني على ديني، لا يدل على أنه غير نصراني إلى وقت الدعاء، ولا أنه غير مصمم على صحة دينه، وكذلك سائر الأدعية، وأجمع المسلمون والمفسرون على أن المغضوب عليهم هم اليهود، وأن الضالين هم النصارى، فتبديل ذلك بما قالوه مصادمة، ومكابرة، ومغالطة، وتحريف وتبديل فلا يسمع من مدعية][1].

هذا: ولم أجد أحدًا من السابقين واللاحقين تناول تلك الشبهة غير شيخ الإسلام ابن تيمية فذكر احتجاج النصارى بقول الله تعالى: ﴿ وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴾ [سبأ: ٢٤].

وأجاب عنه بأن السياق قبل هذه الآية يؤكد أن محمدًا ﷺ على الهدى، وأن المشركين هم أهل الضلال، فالآيتان اللتان قبل هذه الآية[2] تبينان أن أهل التوحيد هم الذين يعبدون الله تعالى الذي يملك كل شيء، بلا شريك، ولا ظهير، ولا يشفع عنده أحد إلا بإذنه، ومحمد ﷺ يعبد الله تعالى الموصوف بالصفات السابقة، وأما المشركون فيعبدون ما لا يملك شيئًا، ولا يشارك الله في ملكه، ولا يعين الله عليه، ولا يشفع عند الله تعالى، فهم على الضلال.

---

(1) ينظر: الأجوبة الفاخرة: (ص٣٢، ٣٣).

(2) الآيتان: ﴿ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِۖ لَا يَمۡلِكُونَ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا لَهُمۡ فِيهِمَا مِن شِرۡكٖ وَمَا لَهُۥ مِنۡهُم مِّن ظَهِيرٖ ٢٢ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ﴾ [٢٢-٢٣] من سورة سبأ.

ثم بعد أن ذكر الله تعالى صفات أهل التوحيد وصفات أهل الضلال، أمر نبيه ﷺ أن يقول لهم: ﴿ وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴾ وذلك ليس شكًا، بل من باب الإنصاف في الخطاب، واعتمادًا على ما سبق من الآيات التي تبين أن محمدًا ﷺ وأتباعه على التوحيد، واعتمادًا على أن أتباع جميع الملل يعلمون أن أهل التوحيد هم أهل الهدى وأن من عداهم هم أهل الضلال.

وذكر ابن تيمية استدلال النصارى بآيتي الفاتحة على أن رسول الله ﷺ كان يطلب الهداية إلى طريق النصارى المستقيم وأجاب عنه بقوله: (فيا سبحان الله! ألم يعرف العام والخاص علمًا لا تمكن المنازعة فيه من دين محمد ﷺ، ودين أمته الذي تلقوه عنه، من تكفير النصارى وتجهيلهم، واستحلال جهادهم وسبي حريمهم، وأخذ أموالهم -ما يناقض كل المناقضة أن يكون محمد ﷺ وأمته في كل صلاة يقولون: اللهم أهدنا صراط النصارى؟ ولو كانوا يسألون الله هداية طريق النصارى لدخلوا في دين النصارى، ولم يكفروهم ويقاتلوهم، ويضعوا عليهم الحرية التي يؤدونها عن يد وهم صاغرون، ولم يشهدوا عليهم بأنهم من أهل النار).

ثم بين أن المنعم عليهم هم المقصودون في قول الله تعالى: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ﴾ [النساء: ٦٩].

ثم ذكر ابن تيمية أنه إذا كان محمد ﷺ صادقًا عند النصارى فليصدقوه في كل ما جاء به ، وقد جاء بأن النصارى كفار على ضلال، وإن كان كاذبًا عندهم، فلم يستدلون بما جاء به ﷺ تأييدًا أو اعتراضًا؟ فهذا لا يصح[1].

(1) يراجع: الجواب الصحيح: (٢/ ٦٤-٦٨).

ومن خلال ما سبق يظهر: اشتراك القرافي وابن تيمية في دفع استدلال النصارى بما جاء في سورة الفاتحة وسورة سبأ، وكان جواب ابن تيمية في الآيتين على ما يظهر لي أقوى من جواب الإمام القرافي؛ لأنه شارك القرافي في جوابه عن آية سبأ بأن ذلك من باب التلطف في الخطاب، وإن كانت عبارة القرافي أوضح وأوفى من عبارة ابن تيمية وأضاف الاستدلال بسياق الآيات على أن محمدًا ﷺ كان على الهدى، وليس من شك أن الاستدلال بالسياق فيه لفتة قوية، وهي أن النصارى وإن انتزعوا الآية مستدلين بها على مدعاهم، فإن السياق يبطل ما صنعوا.

وفي الآية الثانية كان رد الإمام ابن تيمية أقوى من رد الإمام القرافي؛ لأنه شاركه في بيان المقصود بالمنعم عليهم من الآية وأن المغضوب عليهم هم اليهود، والضالون هم النصارى، إلا أن ابن تيمية بين أن النصارى.

كيف يكذبون محمدًا ﷺ ويستدلون ببعض ما جاء به ﷺ ؟

كما أنه لا يخفى فيما سبق أن للإمام القرافي فضيلة السبق، وأنه أضاف ما لم يذكره ابن تيمية من استدلال النصارى بقوله تعالى: ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ﴾ الآية، وأجاب عنه. والله أعلم

الشبهة الثانية: نفي النصارى عموم رسالته ﷺ :

يزعم النصارى أن سيدنا محمدًا ﷺ لم يرسل إليهم، وإنما هو رسول إلى العرب وحدهم، متمسكين في ذلك بآيات من القرآن الكريم ظنوها صالحة لما قالوا، وقد ذكر الإمام القرافي ذلك فقال: (يقولون: إن محمدًا ﷺ لم يبعث إلينا، فلا يجب علينا اتباعه، وإنما قلنا: إنه لم يرسل إلينا؛ لقوله تعالى في الكتاب العزيز: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا ﴾ [يوسف: ٢]، ولقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ

إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ ﴾ [إبراهيم: ٤]، ولقوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ ﴾ [الجمعة: ٢]، ولقوله تعالى: ﴿ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ ﴾ [القصص: ٤٦]، ولقوله تعالى: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ [الشعراء: ٢١٤] يقول النصارى ولا يلزمنا إلا من جاء بلساننا، وأتانا بالتوراة والإنجيل بلغاتنا)[1].

رد الإمام القرافي عن هذه الشبهة:

أجاب الإمام القرافي عن هذه الشبهة بالآتي:

١- أنه لو صح ما يقوله النصارى: إنهم لا يلزمهم الإيمان إلا بمن جاء بلسانهم، وبكتاب فيه لغتهم، لكان النصارى كلهم على ضلال في اتباع أحكام التوراة؛ حيث إنهم متبعون لأحكامها، والتوراة لم تنزل بلسان النصارى، بل نزلت باللسان العبري، وترجمت إلى لغتهم، واللغة العبرية ليست لغة النصارى، بلا إنكار منهم لذلك.

ولكان أيضًا عدد كثير من النصارى على ضلال في اتباع ما جاء في الإنجيل كنصارى مصر والحبشة؛ لأن لغتهم ليست لغة الإنجيل التي نزل بها، ولكن ترجم إلى لغتهم، وذلك قول الإمام القرافي: (التوراة نزلت باللسان العبراني، والإنجيل بالرومي[2]، فلو صح ما قالوه، لكان النصارى كلهم مخطئون في اتباع أحكام التوراة؛ فإن جميع فرقهم لا يعلمون هذا اللسان إلا كما يعلم الرومي اللسان العربي بطريق التعليم، وأن يكون القبط -المصريون- كلهم -والحبشة مخطيئن في اتباعهم التوراة والإنجيل؛ لأن الفريقين غير عبرانيين أو روميين، ولو

(1) ينظر: الأجوبة الفاخرة: (ص٩).

(2) سبق بيان اللغة التي كتب بها الإنجيل. (ص٤٦١).

لم ينقل هذان الكتابان بلسان القبط وترجما، كما ترجما بالعربي، لم يفهم قبطي ولا حبشي، ولا رومي شيئًا من التوراة، ولا قبطي ولا حبشي شيئًا من الإنجيل، إلا ان يتعلموا ذلك اللسان كما يتعلمون العربي)[١].

٢- يلزم القرافي النصارى أنهم ما داموا يسلمون برسالة محمد ﷺ والرسول لا يكذب، فليصدقوه في دعواه أن رسالته عامة ﷺ وهذا قوله: (إذا سلم أن النبي ﷺ رسول لقومه، ورسل الله تعالى خاصة خلقه وخيرة عباده معصومون من الزلل، مبرؤون عن الخطأ.. وهو الصادق البر فيكون رسولاً للجميع؛ لأن من جملة ما نزل عليه ﷺ: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ ﴾ [سبأ: ٢٨])[٢].

٣- بيَّن الإمام القرافي أن ما فهمه النصارى من الآيات التي ذكروها من دعوى خصوص الرسالة بالعرب، لم يفهمه من نزل عليه الوحي ﷺ، ولا من نزلت فيهم تلك الآيات، ولم يفهمه أعداء رسول الله ﷺ آنذاك، ولو فهموا ذلك، لما تركوا معارضته بذلك، ولكنهم لم يفعلوا فدل على أنهم لم يفهموا ما فهمه النصارى زمن الإمام القرافي من فهم خاطئ، وذلك قوله: (وإذا كان عليه السلام هو المتكلم بهذه الألفاظ، ولم يفهم تخصيص الرسالة، ولا إرادته، بل أنذر الروم، والفرس. وسائر الأمم، والعرب لم تفهم ذلك، وأعداؤه من أهل زمانه لم يدعوا ذلك، ولا فهموه، ولو فهموه لأقاموا به الحجة عليهم، ونحن أيضًا لم نفهم ذلك، ولم يفهمه إلا النصارى الذين ساءوا سمعًا وفهمًا، فساءوا إجابة)[٣].

٤- بين الإمام القرافي أنه كيف يدعي أن رسالته ﷺ كانت خاصة إلى العرب وهو الذي أرسل الرسل إلى سائر الأمم يدعوهم إلى الإسلام وذلك

(1) ينظر: الأجوبة الفاخرة: (ص١٠، ١١).
(2) الأجوبة الفاخرة: (ص١١).
(3) ينظر: الأجوبة الفاخرة: (ص١٢).

قوله: (فليت شعري من كتب إلى قيصر (هرقل ملك الروم) وإلى المقوقس أمير القبط يدعوهم إلى الإسلام؟ ولولا ذلك لم يسلط السيف على دين النصرانية إلى اليوم منذ ستمائة سنة)[1].

٥- بيَّن الإمام القرافي أنه ليس في الآيات التي تمسك بها النصارى دليل على أن رسالته ﷺ ليست لغير العرب:

فقول الله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ ﴾ [إبراهيم: ٤] أجاب القرافي عن تمسكهم به، ببيان الحكمة من الإرسال بألسنة الأقوام، وهي أن يفهم الأقوام عن الرسل، ومنهم، فإذا فهموا وعرفوا ما يقصدونه، وآمنوا قامت بهم الحجة على غيرهم؛ لأن غير أقوام الرسل إذا رأوا أقوامهم: آمنوا بهم، ودعاهم الرسل إلى الإيمان بدعوتهم، في حال عموم الدعوة، مثل سيدنا محمد ﷺ فإن هؤلاء الناس يحكمون على الرسول بحال قومه معه، فإن كانوا آمنوا به، فقد عرفوا صدقه، وإلا فقد بان كذبه، وذلك قول القرافي: (الحكمة في أن الله تعالى إنما يبعث رسله بألسنة قومهم؛ ليكون ذلك أبلغ في الفهم عنه، ومنه، وهو أيضًا يكون أقرب ليفهم عنهم جميع مقاصدهم في الموافقة والمخالفة وإزاحة الأعذار والعلل والأجوبة عن الشبهات المعارضة، وإيضاح البراهين القاطعة، فإن مقصود الرسالة في أول وهلة إنما هو البيان والإرشاد، وهو مع اتحاد اللغة أقرب.. فإذا تقررت نبوة النبي في قومه قامت الحجة على غيرهم، فإن أقارب الإنسان، ومخالطيه المطلعين على حاله والعارفين بوجوه الطعن عليه أكثر من غيرهم، إذا أسلموا ووافقوا، فغيرهم أولى أن يسلم ويوافق).

ثم بين الإمام القرافي أن الآية ليس فيها ما يدل على التخصيص، وإنما كانت

---

(1) الأجوبة الفاخرة: (ص٣٣).

تدل على التخصيص لو كانت: وما أرسلنا من رسول إلا لقومه، وذلك قوله: (وفرق بين قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ ﴾ [إبراهيم: ٤] وبين قوله: (وما أرسلنا من رسول إلا لقومه) فالقول الثاني هو المفيد لاختصاص الرسالة بهم لا الأول)[1].

وأما تمسك النصارى بقوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولاً مِّنۡهُمۡ ﴾ [الجمعة: ٢] فقد رده القرافي بقوله: (إن هذا لا يقتضي أنه لم يبعث إلى غيرهم، فإن الملك العظيم إذا قال: بعثت إلى مصر رسولاً من أهلها، لا يدل ذلك على أنه ليس على يده رسالة أخرى لغيرهم، ولا أنه لا يأمر قومًا آخرين بغير تلك الرسالة).

وأما تمسكهم بقوله تعالى: ﴿ وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ﴾ [الشعراء: ٢١٤] فقد أجاب عنه القرافي بقوله: (ليس فيه دليل على أنه لا ينذر غيرهم، كما إذا قال القائل لغيره: أدب ولدك، لا يدل أنه أراد ألا يؤدب غلامه، بل ذلك يدل على أن مراد المتكلم في هذا المقام تأديب الولد؛ لأن القصد مختص به، ولعله إذا فرغ من الوصية على الولد، يقول له: وغلامك أيضًا أدبه، وإنما بدأت بالولد، لاهتمامي به، ولا يقول عاقل: إن كلامه الثاني مناقض للأول، فكذلك قرابته عليه السلام لما كانوا أولى الناس ببره وإحسانه، وإنقاذه خصهم بالذكر، لا أن غيرهم غير مراد كما هو واضح في صورة الولد والعبد).

وأما تمسكهم بقوله تعالى: ﴿ لِتُنذِرَ قَوۡمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبۡلِكَ ﴾ [القصص: ٤٦] فقد أجاب عنه القرافي بقوله: (ليس فيه أنه لا ينذر غيرهم، بل لما كان الذي يتلقى الوحي أولاً هم العرب، كان التنبيه عليهم بالمنة والهداية أولى

(1) الأجوبة الفاخرة: (ص١٠).

من غيرهم، وإذا قال السيد لعبده: بعتك لتشتري ثوبًا، لا ينافي أنه أمره بشراء الطعام، بل تخصيص الثوب بالذكر لمعنى اقتضاه، وسكت عن الطعام؛ لأن المقصد الآن لا يتعلق به، فلما كان المقصود إظهار المنة على العرب خصوا بالذكر)[1].

وقد ذكر ابن تيمية أجزاء هذه الشبهة التي يتمسك بها النصارى في مواطن عدة من كتابه: (الجواب الصحيح) وأجاب عنها.

فذكر دعواهم أن محمدًا ﷺ أرسل إلى العرب متمسكين في ذلك بآيات من القرآن الكريم، وأجاب عنها بالآتي:

١- بيَّن أن النصارى إن صدقوا محمدًا ﷺ في كونه رسولاً، فليصدقوه في كل ما جاء به، وقد جاء بأن دعوته عامة، وأن النصارى على الباطل، وإن كذبوا محمدًا ﷺ في كون رسالته عامة، فلا معنى لاحتجاجهم بشيء مما جاء به[2].

٢- بيَّن أنه ﷺ دعا أهل الكتاب من اليهود والنصارى إلى الإسلام، كما دعا من لا كتاب له من العرب، وسائر الأمم، وهو الذي أخبر عن الله تبارك وتعالى بكفر من لم يؤمن به من أهل الكتاب وغيرهم، وبأنهم يصلون جهنم وساءت مصيرا.. وقد علم جميع الطوائف بذلك، فدعوى أنه ﷺ لم يبعث إلا إلى العرب كذب ظاهر[3].

٣- وأما استدلال النصارى بقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ ﴾ [إبراهيم: ٤] فقد أجاب عنه ابن تيمية ببيان الحكمة من كون كل

(1) ينظر: الأجوبة الفاخرة: (ص١١، ١٢).
(2) يراجع: الجواب الصحيح: (١/ ٣٨-٤٠).
(3) يراجع: الجواب الصحيح (١/ ٥٠) وما بعدها.

رسول جاء بلسان قومه -كما ذكر الإمام القرافي- مع اختلاف العبارة، والإطناب في الجواب[١].

٤- وأيضًا بيَّن أن جميع النصارى متبعون للتوراة، وهي لم تنزل بلسانهم، وكثير منهم متبع للإنجيل وهو لم ينزل بلسانهم، فكيف يقال: إنهم لا يلزمهم اتباع إلا من جاء بلسانهم؟[٢]

٥- ثم قال: (قوله تعالى: ﴿ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ ﴾ [يس: ٦]، لا يقتضي أنه لا ينذر غيرهم، كما أن قوله: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ [الشعراء: ٢١٤] يقتضي إنذار قومه ولا ينافي أن ينذر غيرهم من العرب، كما أن قوله في قريش: ﴿ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ۝٣ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ﴾ [قريش: ٣، ٤] ولا يمنع ان يكون غير قريش مأمورين بعبارة ﴿ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ﴾)[٣].

ومن خلال ما سبق يظهر أن جواب الإمام القرافي عن تلك الشبهة أقوى من جواب ابن تيمية؛ لأنه وإن شارك ابن تيمية في إلزام النصارى بأنهم إن صدقوا كونه ﷺ رسولاً إلى العرب فليصدقوه في كل ما جاء به، وإن شاركه في أن ما يقوله النصارى يرجع على اتباعهم أحكام التوراة بالبطلان، وكذا على اتباع أكثرهم لما جاء في الإنجيل؛ لأن التوراة لم تنزل بلسانهم؛ ولأن الإنجيل لم يكن بلغة أكثر النصارى، فقد جاءت عبارة القرافي أوضح من عبارة ابن تيمية، كما أن فيها بيانًا ليس عند ابن تيمية؛ لأن معظم الذي ذكره ابن تيمية ذكره ضمن كلام كثير، أصابه القرافي في عبارات ليست مختصرة، ولا هي مطنبة.

---

(1) يراجع: الجواب الصحيح (١/ ١٧١، ١٧٤).
(2) ينظر: الجواب الصحيح: (١٨٤).
(3) ينظر: الجواب الصحيح: (٢/ ٦٣).

وأيضًا: عند مقارنة جواب القرافي وابن تيمية عن الآيات التي تمسك بها النصارى يظهر الفرق، فكلاهما بيَّن أن الآيات ليس فيها ما يفيد التخصيص، لكن بيان الإمام القرافي جاء مشفوعًا بالمثال الذي لا يدع في النفس شيئًا من الغموض أو الارتياب، هذا بالإضافة إلى إضافة الإمام القرافي الفريدة، وهي أنه إذا لم يفهم رسول الله ﷺ التخصيص من الآيات، وكذا الصحابة، والعرب الذين نزل القرآن بلغتهم، وأعداء الإسلام آنذاك، فكيف فهم النصارى ذلك، مع أنهم ليسوا حجة في فهم القرآن الكريم، ولا في لغة القرآن الكريم؟

كل أولئك يجعل جواب الإمام القرافي أقوى من رد الإمام ابن تيمية.

والله أعلم

obeikandi.com